

## ملاحظات على "مقابلة حنان عشراوي"

غطاس أبو عيطة\*

أود أن أنوه، بدايةً، بخط "مجلة الدراسات الفلسطينية" التي تفسح المجال للرأي والرأي الآخر. فمباشرة بعد المقابلة المنشورة في العدد 50 (ربيع 2002) مع السيدة حنان عشراوي، والتي تنحاز فيها إلى ضرورة انقراض الانتفاضة الفلسطينية على "المقاومة المدنية"، جاءت مقاربة الأستاذ طارق البشري\*\* لحدث الانتفاضة، ووضعا إياه ضمن جدلية تقدّم وتراجع الثورة المسلحة الشعبية العربية في مواجهة قوى الاستعمار الغربي، والتي تتعاكس مع تقدّم وتراجع دور النظم الرسمية العربية، التي هي أقل قدرة على إلحاق الهزيمة بالاستعمار، اعتماداً على الجيوش النظامية.

وما أود أن أشير إليه تالياً هو أن ملاحظاتي على بعض المفاهيم التي تبثها السيدة عشراوي في المقابلة التي نحن في صدها إنما هي ملاحظات على نهج فكري له حضوره في الساحة العربية، وإنه لمن المهم إبراز النهج الذي ينطلق من مفاهيم مغايرة.

وما رأيت الوقوف عنده في معرض ردي على سياق ما طرحه هذه المقابلة إنما يتعلق بالنظرة إلى المشروع الصهيوني، ثم بالنظرة إلى السياسة الأميركية تجاه المنطقة العربية، وكذلك ما يرتبط بهما من رؤية لأساليب النضال التحرري التي يجب تبنيها في مواجهتهما.

أولاً:

### النظرة إلى المشروع الصهيوني

لننطلق من فكرة أنه من دون أن تحسم حركة التحرر الوطني الفلسطينية وقوى حركة التحرر العربية رؤيتها لطبيعة ووظيفة الكيان الصهيوني، الذي أقيم في قلب

(\*) كاتب فلسطيني - دمشق.

(\*\*) أنظر: "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد 50، ربيع 2002، ص 38 - 49.

الوطن العربي كركيزة استيطانية للسيطرة الاستعمارية الغربية، فسيظل وعينا العربي قاصراً عن إنتاج حركة ثورية قادرة على مجابهة المشاريع الاستعمارية في المنطقة. وما تشيعة السيدة عشاوي في مقابقتها ينم في رأينا عن عدم الحسم، وذلك حين تُخرج سياسة شارون من سياق السياسة الصهيونية تجاه الحقوق الوطنية الفلسطينية. فشارون، في رأيها، هو من "يريد أن يرجعنا إلى الوراء، إلى أربعينات القرن العشرين، إلى الأصولية الصهيونية، إلى الحديث عما يسمى (حرب استقلال إسرائيل)؛ وذلك يعني إكمال المشروع الصهيوني الأصلي بالاستيلاء على فلسطين بأكملها لإلغاء الهوية الفلسطينية الوطنية، وإلغاء جوهر حق تقرير المصير فيما يتعلق بالأرض في الضفة الغربية وقطاع غزة، وفيما يتعلق بالشعب، ولا سيما باللاجئين" (ص 31).

والسؤال الذي نطرحه هنا هو: ما الذي أوحى للسيدة عشاوي بأن المعسكر الصهيوني، بمختلف تياراته وأحزابه السياسية، قد تخلى عن الأصولية الصهيونية عدا شارون؟ هل مشروع حزب العمل على سبيل المثال، الذي طرحه شمعون بيرس بشأن "الشرق الأوسط الجديد"، يخرج عن أهداف المشروع الصهيوني الأساسية في السيطرة على المحيط الإقليمي العربي بعد ترسيخ هذا المشروع على الأرض الفلسطينية من خلال شطب حقوق شعب فلسطين؟

في رأينا أن ما يعبر عنه بيرس بخداع استعماري تقليدي، بادعائه أن السيطرة الصهيونية على المنطقة ستجلب الرخاء والازدهار لشعوبها، يرفض شارون وتياره اللجوء إليه (الخداع الاستعماري)، حين ينطلق من مبدأ أن العرب لا يفهمون غير لغة القوة، وأن استكمال المشروع الصهيوني بتهويد كل فلسطين وإخضاع المحيط العربي لا يمكن أن يتم إلا بالأسلوب الذي حققت من خلاله الصهيونية دولتها؛ وهو أسلوب الاغتصاب المستند إلى القوة.

وعليه فإن الإيحاء، بأي شكل من الأشكال، بأن هناك سياسة أخرى داخل المعسكر الصهيوني لا تنبع من الأصولية الصهيونية إنما يقود إلى تمييع المواجهة العربية للصهيونية ومشروعها الاستعماري، كونه لا يساهم في قيام حركة ثورية عربية جذرية، تتصدى للمشروع الذي يشكل النقيض التاريخي للمشروع القومي العربي التحرري، وضمنه الحقوق الوطنية الفلسطينية.

## ثانياً:

## النظرة إلى السياسة الأميركية

في رأينا المتواضع أيضاً، لا يمكن إخراج السياسة الأميركية تجاه هذه المنطقة من سياق السياسة الاستعمارية الغربية على امتداد نحو قرنين من الزمن. فكما تنافست الدول الاستعمارية الكبرى في شأن هذه المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية، ومن ثم النفطية، إلى أن أنهت تقاسمها عبر اتفاقية ساكس - بيكو سنة 1916 بين بريطانيا وفرنسا، وضعت الإمبريالية الأميركية، وارثة الاستعمار الكولونيالي الغربي، نصب أعينها منذ أربعينات القرن العشرين هدف الاستحواذ على هذه المنطقة. ومثل قوى الاستعمار الكولونيالي أيضاً، وجدت الولايات المتحدة في القاعدة الاستيطانية الصهيونية "الذخر الاستراتيجي" الذي يساعدها في تحقيق هدفها، وخصوصاً بعد أن برهنت هذه القاعدة على قدراتها العسكرية في حروب 1948 و1956 و1967، إلخ.

من هنا، فإن سياسة إدارة الرئيس بوش الابن لا تخرج، إلا من حيث الأسلوب، عن نسق السياسة الأميركية المعتمدة تجاه منطقتنا؛ وهو أسلوب تغليب القوة العسكرية والتهديد بها على الأساليب الدبلوماسية المخادعة. وفيما عدا ذلك، فهي تعتمد الاستراتيجية التي وضعها هنري كيسنجر في عهد الرئيس كارتر (الديمقراطي) حين وضعت الولايات المتحدة مخططها للاستحواذ على هذه المنطقة موضع التنفيذ العملي عبر إنشاء القواعد والقوات المركزية المرابطة فيها. ففي حينه رأى كيسنجر أن لا بد من تصفية القضية الفلسطينية بطريقة أو بأخرى كي تظهر العلاقات الضمنية القائمة بين إسرائيل والنظم العربية إلى العلن، بل كي يقوم نظام إقليمي في هذه المنطقة تحت السيطرة الأميركية تكون إسرائيل القوية (كإمبريالية فرعية) الطرف المهيم في هذا النظام.

إن رؤية السياسة الأميركية هذه تجاه المنطقة من شأنها أن تدحض ما ذهب إلىه السيدة عشراوي من أن الولايات المتحدة، في عهد بوش الابن، قد ابتلعت السياسة الإسرائيلية الشارونية بما يوحي أن في الإمكان وجود سياسة أميركية مغايرة كالتالي عبر عنها الرئيس كلينتون (وفق ما يرد في المقابلة).

فمثل هذه الرؤية المضللة تجاه حقيقة السياسة الأميركية يجعلنا نعلق الأوهام على النيات الأميركية تجاه الحقوق الوطنية الفلسطينية وتجاه مستقبل المنطقة، ويدفعنا إلى منافسة الكيان الصهيوني في خدمة المصالح الأميركية المناقضة لمصالح شعوبنا، كما يقودنا إلى الوهم بأنه من خلال التجاوب مع إملاءات الولايات المتحدة يمكننا أن نساعد صنّاع القرار فيها على التحرر من طغيان النفوذ الصهيوني عليهم.

وكي نوقف العلاقة بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني على قدميها لا بد من العودة إلى الآلية التي اعتمدها أميركا للسيطرة على العالم عقب تجربتها القاسية في فيتنام، وهي الآلية التي عبر عنها في حينه وزير الدفاع الأميركي، ملفين ليرد، بقوله: ستكون واشنطن مركز قيادة العالم، أما الآخرون فعليهم أن يلاحقوا مصالحهم الإقليمية ضمن الإطار الإجمالي الذي تسيّره أميركا.

ويدل ذلك على أن ما ينفذه شارون من عدوان على الشعب الفلسطيني إنما يقع في إطار السياسة الأميركية لا العكس. ولا نحتاج هنا إلى ذكر الشواهد التي جسدها مواقف بوش الابن من حملة شارون ضد الانتفاضة والمقاومة الفلسطينية كي ندرك التوافق التام بين الأهداف الأميركية والمصالح الإقليمية الصهيونية التي تقوم في إطارها.

### ثالثاً:

#### خط التطرف، والنهج الديمقراطي

انطلاقاً من الرؤية المضللة تجاه طبيعة المشروع الصهيوني وحقيقة السياسة الأميركية تبدي السيدة عشراوي تأييدها للنهج الديمقراطي (الحضاري) في الساحة الفلسطينية الذي يعبر عنه 40% من القوى السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة، والذي يمكن أن يغدو مهيمناً بالتحاق كوادرو وقواعد حركة "فتح" به، بعد تخلصها من ردة الفعل على السياسة الشارونية، وهي تعلن - في مقابل ذلك - شجبها لخط التطرف (غير الحضاري) الذي تعبر عنه حركتا حماس والجهاد الإسلامي، الذي جر الانتفاضة إلى العسكرة بدل اقتصرها على أسلوب المقاومة المدنية، الذي يمثل السبيل المضمون لإنجاز الأهداف الوطنية الفلسطينية، كونه السبيل الأمثل لكسب الرأي العام الإسرائيلي ولتحرير الولايات المتحدة من سيطرة الأصولية الصهيونية.

وفي رأي السيدة عشراوي، على هذا الصعيد، فإن ما حال دون تحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية، التي تقصرها على تقرير المصير للشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع، وعلى موضوع اللاجئين (الذي يرد في مقابقتها في صيغة غامضة)، هو غياب الديمقراطية في تشكيل مؤسسات السلطة، الذي أعاق عملية بناء الدولة، وأضعف أداء السلطة في المفاوضات، إضافة إلى الثغرات القائمة في اتفاق أوسلو، وأن الأمر بالتالي لا يتعلق بحقيقة المشروع الأميركي الصهيوني، الذي يتفق على ضرورة تصفية القضية الفلسطينية بالحرب أو بالدبلوماسية كي تتم الهيمنة الأميركية الإسرائيلية على المنطقة.

وبعيداً عن أوهام هذا النسق من القراءة لأبعاد الصراع الدائر في المنطقة نود أن نؤكد أن المقاومة بكل أشكالها، وخصوصاً تلك المستندة إلى الطاقات الشعبية، هي السبيل الوحيد لإحباط المشروع الأميركي الصهيوني ودحره، بينما يقود تعليق الأوهام على سياسات أخرى أميركية وصهيونية إلى انتصار المشروع المعادي. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>